الإنصاف فيما قاله العلماء
حول علم المناسبات
من خلاف

د/ طه عبد الخالق عبد العزيز

الاستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين - القاهرة

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله واصحابه اجمعين . اما بعد

فهذه دراسة علمية فى علم المناسبات القرآنية . أتوخى فيها إن شاء الله تعالى منهاج الحق وسبيل الرشاد فى بيان اختلاف العلماء فى هذا العلم على سبيل التصريح محرراً محل النزاع ذاكراً أقوالهم الواردة فيه وبيان وجه الحق فيها . وذاك منهجى فى اعداد هذا البحث .

ومن المعلوم بطبيعة الحال ان هذه الدراسة ليست فاتحة ما كتب فى هذا الفن ، بل سبقت هذه الدراسة بدراسات أخر عديدة من أشهرها فيما رأيته كتاب استاذنا الاستاذ الدكتور / محمد أحمد يوسف القاسم (الاعجاز البيانى فى القرآن الكريم) ولكن دراسة شيخنا تناولت بعض كتب المناسبات بالعرض والتحليل ، مراعياً مدى تعرضها للمناسبات ، مع بيان جهة التجديد او التقليد لكل كتاب . ولم يحرر فيها محل النزاع ولم يرد على المنكرين لهذا العلم من خلال كتبهم مثل سلطان العلماء العز بن عبد السلام والعلامة الشوكانى . وسأتناول بيان ذلك إن شاء الله فى هذا البحث فى ضوء ما أشرت إليه .

هذا إلى أن مؤلفات متعددة قد ظهرت مما هو وثيق الصلة بهذا العلم فأحببت أن أضيف هذا إلى مباحث هذا العلم بما ييسره الله تعالى لى فى تناول هذا الموضوع ، فإن وفقت إلى ما قصدت فالخير أردت والحمد لله رب العالمين وإن كانت الأخرى فحسبى أن من أجتهد فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر .

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مبادئ هذا الفن

قبل تناول هذا الفن وآراء العلماء فيه أحب أن أذكر مبادئه، وتتمثل فى أمور عشرة نظمها الشيخ الصبان فى قوله :

إن مبادئ كل فن عشرة الحد والموضوع ثم الثمرة
وفضله ونسبة والواضع والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى ومن درى الجميع حاز الشرفا[١]

◊ المبدأ الاول الحد :

هذا اللقب الذى جعله العلماء عنواناً لهذا العلم مركب اضافى مكون من جزئين هما المضاف (علم) والمضاف إليه (المناسبات القرآنية) . وللتعرف على حد هذا الفن يجب أن أعرف كل جزء من هذا المركب أولاً عند تضايفهما ، أى بعد أن يصيرا علماً على هذا الفن . فإن أول جزء من هذا المركب " علم " .

• **فالعلم فى اللغة :** نقيض الجهل . والعلم بمعنى اليقين . يقال علم يعلم إذا تيقن .

• **وقال ابن منظور :** علمت الشئ .. عرفته [٢].

• **وقال صاحب القاموس المحيط :** " علمه كسمعه علماً بالكسر عرفه وعلم هو فى نفسه ، ورجل عالم وعليم .[٣]

لكن عقب صاحب تاج العروس على الفيروزآبادى قائلاً " علمه كسمعه علماً بالكسر عرفه : هكذا فى الصحاح وفى كثير من

---

(١) حاشية الصبان للشيخ محمد بن على الصبان على شرح الملوى على السلم المطبعة الازهرية ١٣١٩هـ صـ ٣٢ .

(٢) لسان العرب طبعة دار المعارف مادة علم .

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادى طبعة مصطفى الحلبى فصل العين باب الميم ١٥٥/٤.

أمهات اللغة. زاد المصنف فى البصائر[١] على تعريفه (عبارة) حق المعرفة ثم إن قوله هذا وكذا قوله فيما بعد وعلم به كسمع مشعر صريح فى ان العلم والمعرفة والشعور كلها بمعنى واحد وأنه يتعدى بنفسه فى المعنى الأول وبالباء إذا استعمل بمعنى شعر وهو قريب من كلام أكثر أهل اللغة[٢].

• **رأى المحققين :** ذهب كثير من المحققين الى التفريق بين العلم والمعرفة والشعور (والعلم عندهم أعلا الأوصاف لأنه الذى أجازوا اطلاقه على الله تعالى ولم يقولوا عارف فى الأصح ولا شاعر والفروق مذكورة فى مصنفات أهل الاشتقاق) [٣].

وقال الراغب : العلم ادراك الشئ بحقيقته ، وذلك ضربان : أحدهما ادراك ذات الشئ . والثانى الحكم على الشئ بوجود شئ هو موجود له أو نفى شئ هو منفى عنه. فالاول هو المتعدى الى مفعول واحد نحو قوله تعالى (لاتعلمونهم الله يعلمهم "[٤] والثانى المتعدى الى مفعولين نحو قوله تعالى (فإن علمتموهن مؤمنات ..)[*] والعلم من وجه ضربان نظرى وعملى .... ومن وجه آخر ضربان : عقلى وسمعى ١٠هـ المقصود منه[٥] .

• **وقال الراغب مبيناً الفرق بين العلم والمعرفة :** المعرفة والعرفان ادراك الشئ بتفكير وتدبر لأثره وهو أخص من العلم ويضاده الانكار ويقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله متعدياً إلى مفعول واحد لما كان معرفة البشر لله هى بتدبر آثاره دون ادراك ذاته ويقال الله يعلم كذا ولا يقال يعرف كذا ولما كانت المعرفة بهذا

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز نشر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ٨٨/٤-٨٩.

(٢) تاج العروس للعلامه الزبيدى طبعة دار مكتبة الحياة – بيروت ، فصل العين من باب الميم ٤٠٥/٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) سورة الانفال آيه ٦٠.

(*) سورة الممتحنه آية ١٠

(٥) مفردات القرآن طبعة دار الفكر ببيروت مادة علم صـ ٣٥٥

المعنى تستعمل فى العلم القاصر المتوصل به بتفكر ، واصله من عرفت أى أصبت عرْفه أى رائحته أو من أصبت عَرْفهُ أى خدَّه ١٠هـ المقصود منه [١] ومن خلال ذلك تبين أن المعرفة أخص من العلم ، وان العلم ضده الجهل ، والمعرفة ضدها الانكار .

- **العلم اصطلاحاً** : ذكر علماء التدوين اصطلاحاً للعلم حيث إننا بصدد الحديث عن علم المناسبات كفن مدون قالوا : يطلق العلم على المسائل المضبوطة بجهة واحدة .. [٢] .
- **المناسبة فى اللغة** : المقاربة والمشابهة .
- **تقول** : فلان يناسب فلاناً ، فهو نسيبه أى قريبه .
- **قال ابن فارس** : النون والسين والباء كلمة واحدة ، قياسها اتصال شئ بشئ إذ منه النسيب ١٠هـ المقصود منه [٣].
- **وقال الفيومى** : المناسب القريب وبينهما مناسبة وهذا يناسب هذا اى يقاربه شبها ١٠هـ المقصود منه [٤] .

المناسبة فى الاصطلاح : اتصال السور والآيات بما قبلها وما بعدها .

- **وقال فضيلة استاذنا الدكتور محمد يوسف القاسم " علم مناسبات القرآن** : علم تعرف منه علل الترتيب بين أجزائه بعضها إثر بعض .

وهو سر من أسرار بلاغته لادائه إلى تحقيق مطابقة معانيه لما يقتضيه الحال ١٠هـ [١] .

---

(١) المرجع السابق صـ ٣٤٣

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للعلامة محمد على التهانوى ، تحقيق د/ على دحروج وآخرين طبعة مكتبة لبنان المقدمة صـ٣ ، ومناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى طبعة مصطفى الحلبى ١٣/١

(٣) معجم مقاييس اللغة طبعة مصطفى الحلبى باب النون والسين وما يثلثهما ٤٢٣/٥

(٤) المصباح المنير للفيومى طبعة مكتبة لبنان . النون مع السين وما يثلثهما وانظر فيما سبق : لسان العرب مادة نسب

◊ المبدأ الثانى : الموضوع :

- **موضوع علم المناسبات** : القرآن الكريم من حيث الترابط الوثيق بين سوره بعضها ببعض من جهة ومن جهة ثانية الترابط بين الآيات بعضها ببعض .

◊ المبدأ الثالث : الثمرة :

لهذا العلم ثمرات كثيرة وفوائد جمة يقف عليها من أمعن النظر فى القرآن الكريم . ومن ثمراته .

١) الوقوف على سر من أسرار الإعجاز من بديع ربط كلماته وترتيب سوره وآياته على هذا التناسق والانسجام مع اختلاف زمن النزول وأسبابه .

- **يقول صاحب البرهان** : وفائدته : جعل أجزاء الكلام بعضها أخذاً بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء اهـ [٢].

٢) رد شبه الطاعنين فى القرآن وحقية كونه منزل من عند الله تعالى ، قال تعالى (وإنه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [٣] .

٣) الاستعانة بهذا العلم على فهم القرآن فهماً صحيحاً .

◊ المبدأ الرابع :

- **فضله** : ذكر العلماء من مباءئ العلم التى تتقدم على الشروع فيه والتحدث عنه وبيان فضله ليوفى حقه من العناية والاهتمام .

---

(١) الاعجاز البيانى فى ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره طبعة دار المطبوعات الدولية بالقاهرة صـ ٣١ .

(٢) البرهان فى علوم القرآن للامام بدر الدين الزركش تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم طبعة مكتبة دار التراث ٣٦/١

(٣) سورة فصلت آيه ٤١-٤٢

والامر فيه كما قال الأصبهانى : أشرف صناعة يتعاطها الانسان تفسير القرآن بيان ذلك أن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها مثل الصياغة فإنها أشرف من الدباغة لأن موضوع الصياغة الذهب والفضة وهما اشرف من موضوع الدباغة الذى هو جلد الميتة وإما بشرف غرضها مثل صناعة الطب فإنها أشرف من صناعة الكناسة لأن غرض الطب افاده الصحة وغرض الكناسة تنظيف المستراح .

وإما بشدة الحاجة اليها كالفقه فإن الحاجة إليه أشد من الحاجة الى الطب اذ ما من واقعة فى الكون فى أحد من الخلق إلا وهى مفتقرة الى الفقه لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين بخلاف الطب فإنه يحتاج إليه بعض الناس فى بعض الأوقات اهـ المقصود منه [١].

وعلم المناسبات واحد من علوم القرآن الكريم ' وقد أحرز الشرف من الجهات الثلاث . أما من جهة الموضوع فقد تقدم أن موضوعه هو القرآن الكريم .

وأما من جهة فائدته وغايته فله فائدة عظيمة فيكشف عن وجه من أوجه إعجاز القرآن ، وتتوقف على معرفته فهم آياته .

- **يقول بدر الدين الزركشى :** واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول ١٠هـ[٢].

وأما من جهة شدة الحاجة إليه فإنه من أدق العلوم وأعظمها لماله من أهمية فى تفسير النظم القرآنى .

◊ المبدأ الخامس نسبته :

نسبته من التفسير " كنسبة علم المعانى والبيان من النحو فهو غاية العلوم"[٣] إذا أنه يكشف جانباً من الإعجاز القرآنى وبيان أوجه

(١) الاتقان فى علوم القرآن للحافظ السيوطى طبعة مصطفى الحلبى ٢/٢٢٤

(٢) البرهان فى علوم القرآن ١/٣٥ .

(٣) مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور للامام البقاعى ت ٨٨٥هـ تحقيق د/ عبد السميع محمد أحمد حسنين طبعة مكتبة المعارف بالرياض ١/١٤١- ١٤٢، نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للامام البقاعى نشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ١/٦ .

الارتباط الوثيق بين السور بعضها البعض وكذا بين الآيات بعضها بعضا .

◊ المبدأ السادس : واضعه و أطوار تاريخه .

١) تمتد جذور هذا العلم الى عصر الصحابة رضى الله عنهم أجمعين، فكانوا يعتمدون عليه فى فهمهم كتاب الله تعالى .

- **يقول البقاعى :** وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا بما فى سليقتهم من أفانين العربية ودقيق مناهج الفكر البشرية ، ولطيف أساليب النوازع العقلية ثم تناقص هذا العلم حتى انعجم (*) على الناس ، وصار الى حد الغرابة كغيره من الفنون ١٠هـ [١]

- **روى أبو عبيد بسنده عن مسلم بن يسار عن أبيه قال :** إذا حدثت عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ماقبله ومابعده .[٢]

- **وروى عبد الرزاق بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه :** إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا فليسأله عما قبلها[٣].

٢) **ذكر بدر الدين الزركشى والسيوطى** أن بداية ظهور هذا العلم كعلم مستقل كانت فى القرن الثالث الهجرى على يد الامام أبى بكر النيسابورى المتوفى سنة ٣٢٤هـ .

(*) العجمة خلاف الابانة والاعجام الإبهام . والاعجم من فى لسانه عجمه عربيا كان او غير عربى اعتبارا بقلة فهمهم عن العجم . لسان العرب مادة عجم ، مفردات القرآن مادة عجم.

(١) مصاعد النظر ١/١٥٣ – ١٥٤ .

(٢) فضائل القرآن وآدابه رسالة ماجستير للدكتور عبد الحميد العياط مخطوطة بكلية أصول الدين بالقاهرة ١٣٦٢ ص ٥٣٢ ، فضائل القرآن لأبى عبيد تحقيق وهبى سليمان عاوجى مطبعة دار الكتب العلمية بيروت ص٢٢٩ والحديث فيه عبد الله بن مسلم بن يسار ذكره ابن ابى حاتم فى الجرح والتعديل دون جرح أوتعديل ، ذكره ابن حبان فى الثقات. انظر الجرح والتعديل طبعة دار الفكره / ١٦٥ ، الثقات الطبعة الأولى حيدر آبان الدكن ٥/٦٠. لكن تابعه عبد الله بن عون فى رواية أبى نعيم فى الحلية طبعة دار الفكر بيروت ٢/٢٩٢.

(٣) مصنف عبد الرزاق للامام عبد الرزاق الصنعانى طبعة بيروت ك فضائل القرآن تعاهد القرآن ونسيانه ٣/٣٦٥ رقم ٥٩٨٨ .

وكان غزير العلم فى الشريعة والأدب ، وكان يقول على الكرسى إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية الى جنب هذه ؟ وما الحكمة فى جعل هذه السورة الى جنب هذه السورة ؟ وكان يزرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة .[١]

٣) **وكان ابن العربى المتوفى ٥٤٣ هـ** - (قد يئس من طلاب العلم والعلماء الذين أهملوا هذا العلم مع غزارة فوائده فقال فى كتابه (سراج المريدين) :

ارتباط أى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعانى منتظمة المبانى علم عظيم لم يتعرض له غير عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ، ثم فتح الله عز وجل لنافيه ، فلما لم نجد له حملة ، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه ، وجعلناه بيننا وبين الله ، ورددناه اليه) اهـ [٢] .

يقول الغمارى : ولعله - اى ابن العربى - يقصد بقوله : ولم يتعرض له إلا عالم واحد . الشيخ أبو بكر النيسابورى فإنه أول من أظهر علم المناسبة .[٣]

٤) **وذكر الزمخشرى المتوفى (٥٣٨)هـ** فى تفسير الكشاف مناسبة بعض الآى لبعض ومن ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى : (الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين)[٤] إن قوله "الم" جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها و "ذلك الكتاب" جملة ثانية ، و "لاريب فيه" ثالثة و "هدى للمتقين" رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جئ بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متأخية أخذا بعضها ببعض . اهـ المقصود[٥] .

---

(١) البرهان فى علوم القرآن ١ / ٣٠ . الاتقان فى علوم القرآن ٢ / ١٣٨ .

(٢) البرهان ٣٦/١ ، الاتقان ١٣٨/٢

(٣) جواهر البيان فى تناسب سور القرآن لأبى الفضل عبد الله محمد الصديق الغمارى طبع مكتبة القاهرة صـ١٥

(٤) سورة البقرة آية ١ - ٢ .

(٥) تفسير الكشاف طبعة مصطفى الحلبى ١ / ١٢١

وعند تفسير قوله تعالى " "ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض ...)[١] يقول : فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانه اضماره ورصانة تفسيره وأخذ بعضه بحجز بعض كأنما أفرغ افراغا واحدا . اهـ المقصود منه [٢] .

٥) **واعتنى ابن عطية المتوفى ٥٤٦هـ** بهذا العلم وبين ذلك فى مقدمة تفسيره قائلا: إن التحدى إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالى فصاحة الفاظه ووجه اعجازه ان الله تعالى قد أحاط بكل شئ علما ، وأحاط بالكلام كله علما ، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطة أى لفظة ان تلى الأولى ، وتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن الى آخره ، والبشر معهم الجهل والنسيان ، والذهول ، ومعلوم ضرورة ان البشر لم يكن قط محيطا . فبهذا جاء نظم القرآن فى الغاية القصوى من الفصاحة اهـ[٣].

٦) **وذكر الفخر الرازى المتوفى ٦٠٦هـ** - فى تفسيره كثيراً من المناسبات . يقول صاحب البرهان : وممن أكثر منه - علم المناسبات - الامام الفخر الرازى ١٠ هـ [٤] .

فذكر عند تفسير قوله تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه ...)[٥] أن القرآن كما انه معجز بحسب فصاحة الفاظه وشرف معانيه ، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته .[٦]

وقال عند شرح قوله تعالى : (الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم ...)[٧] ومن تأمل فى هذه اللطائف علم أنه لايعقل كلام أكثر

---

(١) سورة النمل آية ٨٧ ، ٨٨

(٢) الكشاف ٣ / ١٦٢

(٣) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية توزيع مكتبة ابن تيمية ١ / ٣٨ .

(٤) البرهان ١ / ٣٦

(٥) سورة البقرة آية ٢٨٥.

(٦) مفاتيح الغيب طبعة دار الكتب العلمية بيروت ٣٩٤/٢ .

(٧) سورة آل عمران آية ١ - ٢ .

فائدة ولا أحسن ترتيباً ولا أكثر تأثيراً فى القلوب من هذه الكلمات اهـ [١] .

٧) **واهتم الشيخ كمال الدين الزملكانى المتوفى (٦٥١هـ)** بعلم المناسبات فعقد دروساً لبيانه وذكر أمثله له فى كتابة البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن . ومن ذلك مناسبة قوله تعالى : (وأتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل)[٢] لقوله تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ...)[٣] .

يقول : فوجه اتصالها بما قبلها ان التقدير : اطلعناه على الغيب عياناً وأخبرناه بوقائع من سلف بيانا لقوم إخباره بذلك على معجزته برهانا .

أى سبحان الذى اطلعك على بعض آياته لنقصها ذكرى ، وأخبرك بما جرى لموسى صلى الله عليه وسلم وقومه فى الكرتين ليكون قصها آية أخرى .

وكذا كل ماتراه فى التنزيل معطوفاً منقطعاً فى الظاهر عما قبله فلابد من اتصاله به معنى . عرف ذلك من عرفه أو جهله من جهله ، فإنه كلام من خبير مجيد (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[٤] . اهـ [٥]

ونقل بدر الدين الزركشى عنه مناسبة افتتاح سورة الاسراء بالتسبيح وسورة الكهف بالتحميد ، وربط بين افتتاح كل منهما بموضوعيها فقال :

إن سورة بنى اسرائيل افتتحت بحديث الاسراء ، وهو من الخوارق الدالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمشركون كذبوا ذلك وقالوا : كيف يسير فى ليلة من مكة الى بيت

(١) مفاتيح الغيب ٢ / ٤١٣ .
(٢) سورة الاسراء آية ٢ .
(٣) سورة الاسراء آية ١ .
(٤) سورة فصلت آية ٤١-٤٢ .
(٥) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن طبعة العانى ببغداد تحقيق د / خديجة الحديثى و د/ أحمد مطلوب ص ٢٦٥ .

المقدس؟ وعادوا وتعنتوا فقالوا : صف لنا بيت المقدس ! فرفع له حتى وصفه لهم . والسبب فى الاسراء كان أولا لبيت المقدس ليكون ذلك دليلاً على صحة قوله بصعود السماوات ، فافتتحت بالتسبيح تصديقاً لنبيه فيما ادعاه ، لأن تكذيبهم له تكذيب عناد ، فنزه نفسه قبل الإخبار بهذا الذى كذبوه .

أما سورة الكهف فإنه لما احتبس الوحى ، وأرجف المشركون بسبب ذلك ، أنزلها الله رداً عليهم ، وأنه لم يقطع نعمه عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، بل أتم عليه بإنزال الكتاب فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة وإذا ثبت هذا بالنسبة الى السور ، فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض ؟ بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة .[١]

٨) **وأفرد الامام أبو جعفر أحمد بن الزبير (المتوفى ٧٠٨هـ)** المناسبات بين السور بعضها البعض فى مؤلف سماه (البرهان فى مناسبة ترتيب سور القرآن). وهو أول مؤلف فى هذا النوع . ونظم عبد الله الغمارى فقال :

علم التناسب للسور علم جليل ذو خطر
قد قل فيه الكاتبون كما قد عز المستطر
وابن الزبير فى برهانه قد كان أول من سطر
اذ جاء فيه مجليا يتلوه بحر قد زخر[٢]

ونقل عنه البقاعى فى نظم الدرر كما سيأتى بعد .

٩) **وألف العلامة نظام الدين الحسن بن محمد النيسابورى (المتوفى ٧٢٨هـ)** كتابه : (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) اهتم فيه بالمناسبات بين السور بعضها بعضا ، وبين الآيات بعضها بعضا . وعلى سبيل المثال :

(١) البرهان ١ / ٣٩ .
(٢) انظر الاتقان ٢ / ١٣٨ ، جواهر البيان ص٢.

فعند تفسيره قول الله تعالى : (وبالأسحار هم يستغفرون . وفى أموالهم حق للسائل والمحروم)[١] يقول : " وحيث ذكر جدهم فى التعظيم لأمر الله تعالى أردفه بذكر شفقتهم على خلق الله " اهـ[٢] .

وفى مناسبة سورة الطور لما قبلها يقول : لما ختم السورة المتقدمة – أى سورة الذاريات – بوقوع اليوم الموعود أقسم على ذلك بالطور. اهـ المقصود منه[٣] .

١٠) **وأكثر أبو حيان (المتوفى ٧٥٤هـ)** فى تفسيره من مناسبات القرآن واستخراج لطائف الفرقان فقال فى مقدمة تفسيره عند ذكر منهجه ... ثم اشرع فى تفسير الآية ذاكرا سبب نزولها ، إن كان لها سبب ، ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها ... اهـ المقصود منه[٤] .

وقال عند تفسير قوله تعالى : (إن الذين كفروا سواء عليهم ...)[٥] مناسبة اتصال هذه الآية بما قبلها ظاهر وهو أنه ذكر صفة من كان الكتاب لهم هدى وهم المتقون الجامعون للأوصاف المؤدية الى الفوز ذكر صفة ضدهم وهم الكفار المختوم لهم الوفاة على الكفر اهـ[٦] .

١١) **وألف بدر الدين الزركشى (المتوفى ٧٩٤هـ)** فى المناسبات واستحسن هذا العلم وأفرد له فصلا كاملاً فى البرهان "النوع الثانى" بعنوان : "معرفة المناسبات بين الآيات " ذكر فيه تعريف هذا العلم ونشأته ، والعلماء الذين ألفوا فيه ، والذين تحفظوا عند الحديث عنه ، وبين ثمرته ، وعرض بعض الأمثلة فى المناسبات بين السور كافتتاح سورة الأنعام بـ(الحمد) فإنه مناسب لختام سورة المائدة وافتتاح سورة فاطر بـ(الحمد) فإنه مناسب لختام

(١) سورة الذاريات آية ١٨ .

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان على هامش تفسير الطبرى طبعة دار الفكر بيروت ١٠/٢٧ .

(٣) المرجع السابق ٢٧ / ٢١ .

(٤) البحر المحيط طبعة دار الفكر ١ / ١٢ .

(٥) سورة البقرة آية ٦ .

(٦) البحر المحيط ١ / ٧٧ .

ماقبلها. وذكر أنواع ارتباط الآى بعضها ببعض وساق أمثلة عليه[١] .

١٢) **واهتم العلامة على المهايمى المتوفى ٨٣٥هـ** بعلم المناسبات وذكر ذلك فى مقدمة تفسيره فقال : (فهذه خيرات حسان من نكت نظم القرآن لم يطمث أكثرهن إنس قبلى ولاجان .... فأمكننى أن أبرزهن من خدورهن ليرى بمرايا جمالهن صور الإعجاز من بديع ربط كلماته وترتيب آياته من بعدما كان يعد من قبيل الألغاز فيظهر به أنها جوامع الكلمات ولوامع الآيات لامبدل لكلماته ولامعدل عن تحقيقاته ، فكل كلمة منه سلطان دارها ، وكل آية برهان جارها وأن ماتو هم فيها من التكرار فمن قصور الأنظار العاجزة عن الاستكبار ، ولابد منه لتوليد الفوائد الجمة من العلوم المهمة وتقرير الأدلة القويمة وكشف الشبه المدلهمة مأخوذه من تلك العبارات من غير تأويل لها ولاتطويل فى اظهار المقدمات ولا ابعاد فى اعتبار المناسبات ... اهـ المقصود منه[٢] .

١٣) **وتربع على عرش هذا العلم الإمام البقاعى (المتوفى ٨٨٥هـ)** فظهر نبوغه ودقته فى هذا العلم ، ولم ينقل رحمة الله عن أحد من العلماء إلا عن أبى جعفر بن الزبير فى الحديث عن المناسبات بين السور .

- **يقول البقاعى** : وطالعت على ذلك كتاب العلامة أبى جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفى العاصمى الأندلسى " المعلم بالبرهان فى ترتيب سور القرآن " وهو لبيان مناسبة السورة بالسورة فقط [٣].

وألف البقاعى كتابين فى هذا العلم : **الأول :** نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور قال فى مقدمته : وسميته نظم الدرر فى تناسب الآى والسور . ويناسب أن يسمى : فتح الرحمن فى

(١) البرهان ١ / ٣٥ .

(٢) تبصير الرحمن وتيسير المنان لبعض ما أشير الى إعجاز القرآن للعلامة على المهايمى طبعة بولاق ١ / ٣ .

(٣) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ج١ المقدمة ص٥ .

تناسب أجزاء القرآن ، وأنسب الأسماء له : ترجمان القرآن ومبدى مناسبات الفرقان [١] .

وقال عن علم المناسبات : (وبهذا العلم يرسخ الإيمان فى القلب ويتمكن من اللب وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين أحدهما : نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب والثانى : نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب .

والأول أقرب تناولاً وأسهل ذوقاً ، فإن كل من سمع القرآن من ذكى وغبى يهتز لمعانيه ، وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط ورهبة مع إنبساط لاتحصل عند سماع غيره ، وكلما دقق النظر فى المعنى عظم عنده موقع الإعجاز . ثم إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمل ربط كل جملة بما تلته ، وما تلاها خفى عليه وجه ذلك ورأى أن الجمل متباعدة الأغراض متنائية المقاصد فظن أنها متنافرة فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهز والبسط ربما شككه ذلك بكثير وزلزل إيمانه وزحزح إيقانه ، وربما وقف مكيس من أذكياء المخالفين عن الدخول فى هذا الدين بعدما وضحت لديه دلائله وبرزت له من حجالها دقائقه وجلائله لحكمة أرادها منزله وأحكامها مجمله ومفصلة فإذا استعان بالله ، وأدام الطرق لباب الفرج بإنعام التأمل ، وإظهار العجز والوثوق بأنه فى الذروة من إحكام الربط كما كان فى الأوج من حسن المعنى واللفظ لكونه كلامُ جل عن شوائب النقص وحاز صفات الكمال ايماناً بالغيب وتصديقاً للرب). اهـ [٢]

وهذا السفر لم يؤلف مثله فى هذا الباب مستوعباً سور القرآن الكريم وآياته .

قال صاحب كشف الظنون : وهو كتاب لم يسبق إليه أحد ، جمع فيه من أسرار القرآن ما تتحير منه العقول .

وقال فى فضله :

هل رأيتم يا أولى التفسير من صاغ تفسيراً كنظم الدرر

---

(١) نظم الدرر المقدمه صـ٥ .

(٢) المرجع السابق

دق معنى جل سبكا لفظه فى وجوه الفكر مثل الغرر [١].

♦ **يقول الاستاذ الدكتور محمد أحمد القاسم :** إن كتاب نظم الدرر من اول كلمة فى خطبته الى آخر سورة الناس يفيض بالمناسبات ، حتى ولو كانت الآية ظاهرة الارتباط ، بل إنه يربط أجزاء الآية بعضها بالبعض كذلك . وظاهرة أخرى : أنه يفسر " بسم الله الرحمن الرحيم " بما يوافق الموضوعات المدرجة فى السورة ، فترى تفسيره لها يختلف عنه من سورة الى أخرى. اهـ [٢] .

وهذا الكتاب لم يقتصر على مناسبات القرآن كما يفهم من العنوان ولكنه كتاب تفسير اشتمل على صنوف كثيرة من العلوم كعلم اللغة وأصولها وأصول الدين ، والحديث وعلومه إلى غير ذلك إلا أن السمة العامة فيه هى عنايته باستخراج المناسبات القرآنية .

الكتاب الثانى فى علم المناسبات للبقاعى " مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور " قال ويصلح أن يسمى : المقصد الأسمى فى مطابقة اسم كل سورة للمسمى وذكر فيه تعريف علم المناسبات وموضوعه ، وغايته ، ومنفعته ، ونوعه ورتبته ، وأقسامه ، وطريقة تحصيله .[٣]

وبدأ هذا الكتاب ببيان فضائل القرآن الكريم عامة وحشد جل الأحاديث و الآثار التىتتناول فضائل القرآن .

وبدأ كل سورة ببيان مكيتها أو مدنيتها ، ثم يذكر الاجماع إن وجد ، وأما إن كان هناك خلاف فى محل نزول السورة فإنه ينقل الأقوال منسوبة إلى أصحابها .

ويهتم ببيان الآيات أو الآية المستثناه من مدينة السورة أو مكيتها ويذكر أسماء السورة إن كان لها أكثر من اسم ، والربط بين كل اسم وما يدل عليه . كما يذكر عدد آيات السورة عند العلماء وذكر الآيات موضع الاختلاف .

---

(١) كشف الظنون لحاجى خليفة طبعة الهند ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م صـ ١٩٦١

(٢) الاعجاز البيانى صـ١١١

(٣) مصاعد النظر ١/١٥٥

ويبين مقصود السورة والربط بين هذا المقصود وبين اسمها الذى اشتهرت به ، وإذا كانت السورة مبدوءة بالأحرف المقطعة فإنه يحاول أن يستنبط من مخارج وصفات هذه الحروف دلالة على مراحل الدعوة الإسلامية .

١٤) **والف الحافظ جلال الدين السيوطى (المتوفى ٩١١هـ)** كتاباً فى المناسبات سماه " تناسق الدور فى تناسب السور " وحققه الأستاذ عبد القادر عطا وغير عنوان هذا الكتاب الى (أسرار ترتيب القرآن) ليتناسب مع العصر على حد زعمه وبعداً عن الأسجاع المألوفة فى عصر المؤلف .

ومما ذكره السيوطى فى مقدمة هذا الكتاب أنه ألف كتاب : (أسرار التزيل) الباحث عن أساليبه ، المبرز لأعاجيبه ، المبين لفصاحة ألفاظه وبلاغة تراكيبه ، الكاشف عن وجه إعجازه ... وأنه اشتمل على بضع عشرة نوعاً وكان منها مبحث فى بيان مناسبات ترتيب سوره وحكمة وضع كل سورة منها وآخر فى بيان أن كل سورة شارحة لما أجمل فى السورة التى قبلها . وثالث فى وجه اعتلاق فاتحة الكتاب بخاتمة التى قبلها . ورابع فى مناسبة مطلع السورة للمقصد الذى سيقت له . وخامس فى مناسبة أوائل السور لأواخرها وسادس : مناسبات ترتيب آياته ، واعتلاق بعضها ببعض وارتباطها وتلاحمها وتناسقها ... إلى غير ذلك .

ثم قال : وقد أردت أن أفراد جزءاً لطيفاً فيه نوع خاص من هذه الأنواع هو : مناسبات ترتيب السور ، ليكون عجالة لمريده ، وبغية لمستفيده وأكثره من نتاج فكرى ، وولاد نظرى ، لقلة من تكلم فى ذلك ، و خاصة فى هذه المسالك ، وما كان فيه لغيرى صرحت بعزوه إليه ، ولا اذكر منه إلا ما استحسن ولا انتقاد عليه ، وقد كنت أولا سميته " نتائج الفكر فىتناسب السور " لكونه من مستنتجات فكرى كما أشرت إليه ثم عدلت وسميته : " تناسق الدرر فى تناسب السور " لأنه أنسب بالمسمى ، وأزيد بالجناس . اهـ [1]

---

(١) تناسق الدرر فى تناسب السور المسمى اسرار ترتيب القرآن تحقيق الاستاذ عبد القادر عطا طبعة دار الاعتصام صـ٦٧ .

١٥) **وألف القاضى أبو السعود العمادى (المتوفى ٩٥١هـ)** سفراً بارعاً جامعاً ، جليل القدر ، بأسلوب بديع وسماه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) أبرز فيه من دقائق الكتاب المكنون ما تطمئن إليه النفوس وتقربه العيون ومنها المناسبات بين آيات القرآن الكريم ، وإليك بعض الأمثلة التى تبين مدى عنايته بهذا العلم .

١- عند قوله تعالى : " إن الذين كفروا سواء عليهم أءانذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون). [1]

قال : كلام مستأنف سيق لشرح أحوال الكفرة الغواة المردة العتاة إثر بيان أحوال أضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم فى الحال والمآل . ١٠هـ [2]

٢- وعند قوله تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) [3] قال فى ذكره المناسبة إثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس فى شأنه الى ثلاث فرق مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع والأحكام ، وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق . وأخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ، ونعت كل فرقة منها بماله من النعوت والأحوال وبين مالهم من المصير والمآل أقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزاً لهم إلى الإصغاء وتوجيها لقلوبهم نحو التلقى وجبراً لما فى العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فأمرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الإشراك به . [4]

١٦) **وارتشف العلامة أبو الفضل شهاب الدين الألوسى (المتوفى ١٢٧٠هـ)** من رحيق الكتاب المكنون حتى وقف على كثير من حقائقه ووفق لحل وفير من دقائقه ، وثقب من درره بقلم فكره دررا ثمينة ، منها تلك الأزهار فى مناسبات القرآن ومن ذلك :

---

(١) سورة البقرة آية ٦

(٢) ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم نشر دار احياء التراث العربى بيروت ٣٥/١ .

(٣) سورة البقرة آية ٢١

(٤) ارشاد العقل السليم ٥٨/١ .

أولاً : مناسبات السور بعضها لبعض : مثال ذلك :

١- مناسبة سورة البقرة لسورة الفاتحة : قال ووجه مناسبتها لسورة الفاتحة أن سورة الفاتحة مشتملة على بيان الربوبية أولاً والعبودية ثانياً وطلب الهداية فى المقاصد الدينية والمطالب اليقينية ثالثا .

وكذا سورة البقرة مشتملة على بيان معرفة الرب أولاً كما فى قوله تعالى : (يؤمنون بالغيب) [١] وأمثاله وعلى العبادات وما يتعلق بها ثانيا وعلى طلب ما يحتاج اليه فى العاجل والآجل آخرا .

وأيضاً فى آخر الفاتحة طلب الهداية ، وفى أول البقرة إيماء إلى ذلك بقوله (هدى للمتقين) [٢] .

٢- مناسبة سورة آل عمران لسورة البقرة : قال الألوسى إن كثيرا من مجملاتها تشرح بما فى هذه السورة ، وإن سورة البقرة بمنزلة إقامة الحجة وهذه بمنزلة إزالة الشبهة ولهذا تكرر فيها ما يتعلق بالمقصود الذى هو بيان حقية الكتاب من إنزال الكتاب وتصديقه للكتب قبله والهدى إلى الصراط المستقيم .

وذكر فى آل عمران ماهو تال لما ذكر فى البقرة أو لازم له ، فذكر هناك خلق الناس ، وذكر هنا تصويرهم فى الأرحام وذكر هناك مبدأ خلق آدم وذكر هنا مبدأ خلق أولاده .

وألطف من ذلك أنه افتتح البقرة بقصة آدم وخلقه من تراب ولا أم ، وذكر فى هذه نظيره فى الخلق من غير أب وهو عيسى، ولذلك ضرب له المثل بآدم ، واختصت البقرة بآدم لأنها أول

(١) سورة البقرة اية ٣ .

(٢) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى طبعة دار الفكر بيروت ٩٨/١

السور [١] وهو أول فى الوجود وسابق ، ولأنها الأصل وهذه كالفرع والتتمة لها فاختصت بالأغرب .....[٢] .

ثانياً : مناسبات الآيات بعضها لبعض : وهاك بعض أمثلتها :

قال عند قوله تعالى : (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) [٣] خطاب لطائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم بعد الخطاب العام ، وإقامة دلائل التوحيد والنبوة والمعاد والتذكير بصنوف الإنعام وجعله سبحانه بعد قصة آدم ، لأن هؤلاء بعدما أوتوا من البيان الواضح والدليل اللائح وأمروا ونهوا وحرضوا على اتباع النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم ظهر منهم ضد ذلك فخرجوا من جنة الإيمان الرفيعة وهبطوا إلى أرض الطبيعة وتعرضت لهم الكلمات إلا أنهم لم يتلقوها ففات منهم ما فات ، وأقبل عليهم بالنداء ليحركهم لسماع ما يرد من الأوامر والنواهى .[٤]

١٧) وممن اعتنى بالمناسبات من المحدثين السيد محمد رشيد رضا، سواء المناسبات بين السور بعضها ببعض أو المناسبات بين الآيات بعضها لبعض واستخرجها من محض فكرة تارة وتارة أخرى ينقلها من غيره . مع ذكره الأمور الأخرى التى تتعلق بالتفسير .

ومن مناسبات السور بعضها لبعض عنده :

١- مناسبة سورة النساء لسورة آل عمران : يقول : ومن وجوه الانضال بينها وبين ما قبلها أن هذه قد افتتحت بمثل ما ختمت به تلك من الأمر بالتقوى وهو ما يسمى فى البديع تشابه الأطراف وفى روح المعانى إن هذا آكد وجوه المناسبات فى

(١) لعله يقصد اول السور الطوال ، أو أول السور المدنية من حيث الترتيب المصحفى ، أو أول السور فى ترتيب النزول بالنسبة لآل عمران .

(٢) روح المعانى ٧٣/٣

(٣) سورة البقرة اية ٤٠

(٤) روح المعانى ٢٤١/١

ترتيب السور ومنها محاجة أهل الكتاب اليهود والنصارى جميعاً فى كل منهما ،ومنها ذكر شئ عن المنافقين فى كل منهما ...[١]

ومن مناسبات الآيات بعضها لبعض مناسبة قوله تعالى : (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) [٢] يقول : لما بين سبحانه وتعالى ان محبته منوطة باتباع الرسول فمن اتبعه كان صادقاً فى دعوى حبه لله ، وجديراً بأن يكون محبوباً منه جل علاه ، اتبع ذلك ذكر من أحبهم واصطفاهم وجعل منهم الرسل الذين يبينون طريق محبته وهى الإيمان به مع طاعته. ١ هـ [٣]

١٨) **ومن المحدثين أيضاً الشيخ عبد الله الغمارى** وألف كتاباً فى المناسبات سماه (جواهر البيان فى تناسب سور القرآن) وصفه بنظمه قائلاً :

وكتبت مثل كتابهم ... بحثاً يؤيد النظر
اعملت فيه قريحتى ... وتخيرت أنسب الفكر
وفتحت بعض المغلقات ... من آى الكتاب ومن السور
وأتيت من عين المسا ... ئل بالبدائع والغرر
انعمت من فيض الإلـ ... ـه بفيض فضل مدخر
حمداً لواهب فضله ... وله التطول إذ ستر
وصلاته دوماً على ... خير البرية من مضر

وذكر فى مقدمته : أما بعد فقد أردت بمشيئة الله تعالى أن أبين فى هذا الكتاب مناسبات سور القرآن الكريم بعضها لبعض ، حسب ترتيبها فى المصحف الشريف وهذا فن عزيز قل من تعرض له من العلماء على كثرة من تعرض منهم لفنون القرآن المتنوعة مثل تفسيره ، واعرابه ، وقراءاته ، وتجويده ، واستنباط أحكامه ،

(١) تفسير المنار طبعة الهيئة المصرية ٢٦٣/٤
(٢) سورة آل عمران آية ٣٣
(٣) تفسير المنار ٢٣٧/٣

وقصصه ، وغير ذلك وسميته (جواهر البيان فى تناسب سور القرآن)

وذكر فى المقدمة الثالثة أن المناسبة نوعان :

إحداهما : مناسبة الآى بعضها لبعض بحيث يظهر ارتباطها وتناسقها كأنها جملة واحدة .

ثانيتهما : مناسبة السور بعضها لبعض وهى أنواع ثلاث :

- إحداهما : تناسب بين السورتين فى موضوعيهما وهو الأصل والأساس
- ثانيتهما : تناسب بين فاتحة السورة والتى قبلها كالحواميم .
- ثالثتهما : مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها ، مثل :

١) قوله تعالى (والنجم إذا هوى)[١] لقوله تعالى (وإدبار النجوم)[٢]. ٢) قوله تعالى (لإلاف قريش)[٣] لقوله تعالى (فجعلهم كعصف مأكول)[٤]

- ويوجد نوع رابع من المناسبة وهومناسبة فاتحة السورة لخاتمتها أفرده السيوطى بالتأليف ، كتب فيه جزءاً صغيراً سماه "مراصد المطالع فى تناسب المقاطع والمطالع" ويدخل فى هذا النوع "رد العجز على الصدر" وهو من المحسنات البديعية "[٥]

١٩) **وألف ابن شهيد ميسلون محمد بن كمال أحمد الخطيب** فى المناسبات كتاباً سماه (نظرة العجلان فى أغراض القرآن) حاول فيه الكاتب كما يقول الدكتور مصطفى الزرقافى تقديم هذا الكتاب: (أن يكشف فيه عن جهة من أهم جهات البحث وهى :

(١) سورى النجم ايه ١
(٢) سورة الطور ايه ٤٩
(٣) سورة قريش اية ١
(٤) سورة الفيل اية ٥
(٥) انظر جواهر البيان صـ١٤-١٦

وحدة موضوع السورة وتناسب أغراضها وتسلسلها ، فهو يرسم فى كل سورة مخطط موضوعها وعناصر مباحثها كما يرسم الكاتب اليوم فى موضوع ما عناصر بحثه ثم يفيض فى معالجتها متنقلاً من عنصر الى عنصر ضمن حدود الموضوع فى حدود شعبه وأغراضه وبتعبير آخر : إنه يبحث عن التناسب بين مجموعة وأخرى من الآيات فى كل سورة [١].

والمؤلف وإن كان قد ربط موضوعات السورة بعضها ببعض إلا أننا لا نجد هذا الترابط بين جميع موضوعات السور القرآنية ولا ضير فهذا الكتاب ما هو إلا محاولة من الكاتب فى هذا الموضوع.

٢٠) وألف الدكتور محمد عبد الله دراز كتابه (النبأ العظيم) ومما ذكر فيه (خصائص الأسلوب القرآنى) ومنها : (الخصائص البيانية للقرآن الكريم). ورتب دراسته لهذا الجانب على أربعة مراتب:

١- القرآن فى قطعة قطعة منه.

٢- القرآن فى سورة سورة منه.

٣- القرآن فيما بين بعض السور بعض .

٤- القرآن فى جملته . [٢]

وذكر أن إثبات إعجاز النظم القرآنى من جهة تلاحم أجزائه على الرغم من عوامل تفرقها ، وقدم لنا نموذجاً تطبيقياً فاختار أطول سورة فى القرآن الكريم أكثر السور نجوماً ، وأكثرها جمعاً للموضوعات المتعددة ألا وهى سورة البقرة. [٣]

وذكر قبل عرض تلك السورة أن السياسية الرشيدة فى دراسة النسق القرآنى تقضى بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه ، فلا يتقدم الناظر إلى البحث فى الصلات الموضعية بين جزء جزء منه وهى تلك الصلات المبثوثة فى مثانى الآيات ومطالعها

(١) نظرة العجلان فى اغراض القرآن . المطبعة العصرية بدمشق صـ ج

(٢) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز – طبعة دار القلم صـ ١٠٧

(٣) النبأ العظيم صـ ١٦٣ .

ومقاطعها إلا بعد أن يحكم النظر فى السورة كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معوانا له على السير فى تلك التفاصيل عن بينة فقديما قال الائمة : " إن السورة مهما تعددت قضاياها فهى كلام واحد يتعلق آخره بأوله ، وأوله بآخره ، ويترامى بجملته إلى غرض واحد كما تتعلق الجمل بعضها ببعض فى القضية الواحدة وإنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر فى جميعها ، كما لا غنى له عن ذلك فى أجزاء القضية. [١]

٢١) **واهتم بهذا العلم من العلماء المعاصرين فضيلة الاستاذ الدكتور محمد احمد يوسف القاسم** فالف كتابه (الاعجاز البيانى فى القرآن الكريم) وأفرد باباً للمناسبات تكلم فيه عن تاريخ علم المناسبات واستعرض بعض المصنفات التى ألفت فى هذا العلم وركز على كتاب (نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور) لأنه استوعب سور القرآن الكريم فى تفصيل لم يسبق إليه . كما اهتم به فضيلة الاستاذ الدكتور ابراهيم خليفة واعتبر المناسبة بين السورتين لكن لا بمسلكها الخاص الذى يربط بين آية هنا وأخرى هناك واعتبر هذا الربط ربطاً واهياً ، لانه لا يتم بمثله تناسق ولا تتحقق به بلاغة النظم وانما استعاض عن ذلك ببيان المناسبة بين السورتين بمسلكهما العام الذى ينعقد فيه الارتباط ويلتئم التناسق بين موضوعى السورتين جميعاً حيث يتاخى وقتئذ نظم السورتين ويجتمع شملهما حتى لكأنهما السورة الواحدة [٢]

◊ المبدأ السابع لهذا العلم تسميته:

اعتنى العلماء بالحديث عن التسمية وبيان سرها لأمرين :

• الاول : ليكون الطالب لهذا العلم على بصيره من أمره فى هذا الشأن [٣]

(١) المرجع السابق صـ ١٥٨ ، ١٥٩

(٢) انظر حوليه كلية اصول الدين بالقاهرة العدد التاسع ، بحث بعنوان اسم السورة يمثل روحها العام صـ ٣٦

(٣) انظر المواقف فى حكم الكلام : لعضد الله والدين القاضى عبد الرحمن بن احمد الأيجى طبعة عالم الكتب بيروت المقدمات صـ٧

• الثانى : (أنه قد يكون للعلم الواحد اسمان أو أكثر فلو لم يعرف الطالب للعلم ذلك فقد يشتبه عليه الأمر فيحسب أنها علوم شئ متعددة بعدد تلك الأسماء ..[١] وعلى هذا فالاسم الذى اصطلح على تسمية هذا الفن به هو (المناسبات القرآنية)

◊ المبدأ الثامن : استمداده :

مصادر هذا العلم وأصول الآيات والسور القرانية كما هو واضح من اسم هذا العلم .

◊ المبدأ التاسع : حكم الشارع :

من المعلوم أن تعلم علوم القرآن يضطر إليها فى فهم معانى القرآن الكريم ومنها علم المناسبات فهو من فروض الكفاية إذا قام به البعض بما يفى بيان معانى القرآن الكريم والوقوف على وجه من وجوه إعجازه أجزأه ذلك وإلا أثم الجميع .

أما بالنسبة لمن يقوم بتفسير القرآن الكريم بإتقان هذا العلم فحكمه أنه واجب عينى لأن تفسير القرآن يتوقف على فهم هذا النوع من العلم .

◊ المبدأ العاشر والأخير: مسائله :

مسائل هذا الفن جزء من موضوعات (علوم القرآن) وهى قضية تفتقر إلى النظر وإعمال الفكر. وهى قسمان :

أحدهما : مناسبة الآى بعضها لبعض بحيث يظهر تناسقها وارتباطها كأنها جملة واحدة .

ثانيهما : مناسبة السور بعضها لبعض وهى أنواع :

• احدهما : تناسب بين السورتين فى موضوعيهما وهو الأصل والأساس

• ثانيهما : تناسب بين فاتحة السورة والتى قبلها كالحواميم .

• ثالثهما : مناسبة بين فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها .

(١) منه المنان فى علوم القرآن للأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة طبعة الفجر الجديد ٣٠٣/١

• رابعهماً : مناسبة فاتحة السورة لخاتمة .[١]

انتهت المبادئ العشرة لهذا العلم والتى نوهت بالحديث عنها سلفاً

◊ آراء العلماء فى علم المناسبات من حيث الثبوت وعدمه :

الرأى الاول :

تبين لنا من خلال الحديث عن واضع هذا العلم وأطوار تاريخه أن جذور هذا العلم تمتد إلى عصر الصحابة رضى الله عنهم أجمعين واهتم به كثير من العلماء كما سبق فمن القدامى أبو بكر النيسابورى وابن العربى والزمخشرى والامام الفخر الرازى وابن الزملكانى والإمام أبو جعفر بن الزبير ، والعلامة نظام الدين النيسابورى ، وأبو حيان ، وبدر الدين الزركشى ، والعلامة المهايمى ، والإمام البقاعى ، والحافظ السيوطى ، والقاضى أبو السعود العمادى ، والعلامة الألوسى ومن المحدثين الأستاذ محمد رشيد رضا ، والشيخ عبد الله الغمارى ، والأستاذ محمد بن كمال الخطيب ، والدكتور محمد عبد الله دراز وغيرهم .

◊ الرأى الثانى : (وهو رأى النافيين للمناسبات)

على الرغم من كثرة المهتمين بهذا العلم فقد ظهر من يعارض وقوعه فى القرآن الكريم وإن كانوا قلة إلا أننى أعرض رأيهم ووجهة نظرهم محررا محل النزاع ومبيناً وجه الحق على قدر طاقتى دون تعصب لرأى أو اتباع لهوى .

ذهب بعض العلماء إلى نفى المناسبات بين سور القرآن الكريم بعضها لبعض وبين آياته كذلك فكل سورة اشتملت على آيات متعددة ، وكل آية أو آيات نازلة فى غرض مختلف عن غيره ، فهذه للزجر وتلك قصة وأخرى وعد وغيرها وعيد ومن هؤلاء :

١) الامام العز بن عبد السلام : واشترط الامام العز بن عبد السلام لوقوع المناسبة نزول الآيات أو السورة فى أمر واحد ، أما اذا كانت نازلة على أسباب مختلفة لايشترط فيه الارتباط ، وعد طالبه تكلفا فقال : واعلم أن من الفوائد أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ويتشبث بعضه ببعض لئلا يكون مقطعا

(١) جواهر البيان بتصرف ١٤- ١٦

متبراً ، وهذا بشرط أن يقع الكلام فى أمر متحد فيرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر ، ومن ربط ذلك فهو متكلف لما لم يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه ، فإن القرآن نزل على الرسول عليه السلام فى نيف وعشرين سنة فى أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة وما كان كذلك لايتأتى ربط بعضه ببعض إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله فى خلقه وأحكامه بعضه ببعض مع اختلاف العلل والأسباب **ولذلك أمثلة :**

أحدها أن الملوك يتصرفون فى مدة ملكهم بتصرفات مختلفة متضادة وليس لأحد أن يربط بعض ذلك ببعض .

المثال الثانى : الحاكم يحكم فى يومه بوقائع مختلفة وأحكام متضادة وليس لأحد أن يلتمس ربط بعض أحكامه ببعض .

المثال الثالث : أن المفتى يفتى فى مدة عمره أو فى يوم من أيامه أو فى مجلس من مجالسه بأحكام مختلفة وليس لأحد أن يلتمس ربط بعض فتاويه ببعض .

المثال الرابع : أن الإنسان يتصرف فى خاصته بطلب أمور موافقة ومختلفة ومتضادة وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات ببعض والله أعلم . أهـ[1] .

٢) وقال العلامة الشوكانى : أعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف ، وخاضوا فى بحر لم يكلفوا سباحته ، واستغرقوا أوقاتهم فى فن لايعود عليهم بفائدة ، بل أوقعوا أنفسهم فى التكلم بمحض الرأى المنهى عنه فى الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه ، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود فى المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ، وينزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه ، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف ، وجعلوه المقصد

(١) الاشارة الى الايجاز فى بعض أنواع المجاز للإمام أبى محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ت ٦٦٠هـ طبعة دار الحديث القاهرة ص٢٢١

الأهم من التأليف ، كما فعله البقاعى فى تفسيره ومن تقدمه حسبما ذكر فى خطبته ، وإن هذا لمن أعجب مايسمعه من يعرف أن هذا القرآن مازال ينزل مفرقاً على حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزول الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قبضه الله عز وجل إليه ، وكل عاقل فضلاً عن كونه عالماً لايشك أن هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها ، بل قد تكون متناقضة كتحريم أمر كان حلالا ، وتحليل امر كان حراماً ، واثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ماكان قد ثبت لهم قبله ، وتارة يكون الكلام مع المسلمين ، وتارة مع الكافرين ، وتارة مع من مضى ، وتارة مع من حضر ، وحينا فى عبادة ، وحينا فى معاملة ، ووقتا فى ترغيب ، ووقتا فى ترهيب ، وآونه فى بشارة ، وآونه فى نذارة ، وطورا فى أمر دنيا ، وطورا فىأمر آخره ، ومرة فى تكاليف أتية ، ومرة فى أقاصيص ماضية ، وإذا كان أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف، ومتباينة هذا التباين الذى لايتيسر معه الائتلاف فالقرآن النازل فيها هو باعتبار نفسه مختلف كاختلافها ، فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحادى ، وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك وتوسيع دائرة الريب على من فى قلبه مرض ، أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور، فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون فى التناسب بين جميع أى القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف ، تقرر عنده أن هذا أمر لابد منه ، وأنه لا يكون القرآن بليغا معجزا إلا إذا ظهر الوجه المقتضى للمناسبة، وتبين الأمر الموجب للارتباط ، فإن وجد الاختلاف بين الآيات فرجع الى ماقاله المتكلمون فى ذلك ، فوجده تكلفا محضا ، وتعسفا بينا انقدح فى قلبه ماكان عنه فى عافية وسلامة ، هذا على فرض أن نزول القرآن كان مرتبا على هذا الترتيب الكائن فى المصحف ، فكيف وكلٍ من له أدنى علم بالكتاب ، وأيسر حظ من معرفته يعلم علماً يقيناً أنه لم يكن كذلك ، ومن شك فى هذا وإن لم يكن مما يشك فيه أهل العلم رجع الى كلام أهل العلم العارفين بأسباب النزول المطلعين على حوادث النبوة ، فإنه ينثلج صدره ، ويزول عنه الريب ، بالنظر فى سورة من السور المتوسطة ، فضلا عن المطولة لأنه لامحالة يجدها مشتملة على

آيات نزلت فى حوادث مختلفة ، وأوقات متباينة لامطابقة بين أسبابها وما نزل فيها فى الترتيب ، بل يكفى المقصر أن يعلم أن أول ما نزل (اقرأ باسم ربك الذى خلق)[١] وبعد (يا أيها المدثر)[٢] (يا أيها المزمل)[٣] وينظر أين موضع هذه الأيات والسور فى ترتيب المصحف ؟

وإذا كان الأمر هكذا ، فأى معنى لطلب المناسبة بين آيات نعلم قطعا أنه قد تقدم فى ترتيب المصحف ما أنزله الله متأخراً ، وتأخر ما أنزله الله متقدماً ، فإن هذا عمل لايرجع الى ترتيب نزول القرآن ، بل الى ما وقع من الترتيب عند جمعه ممن تصدى لذلك من الصحابة ، وما أقل نفع هذا وأنزر ثمرته ، وأحقر فائدته ، بل هو عند من يفهم مايقول ومايقال له من تضييع الأوقات وإنفاق الساعات فى أمر لايعود بنفع على فاعله ولاعلى من يقف عليه من الناس ، وأنت تعلم أنه لو تصدى رجل من أهل العلم للمناسبة بين ماقاله رجل من البلغاء من خطبة ورسائله وإنشاءاته ، أو إلى ماقاله شاعر من الشعراء من القصائد التى تكون تارة مدحاً وأخرى هجاء وحيناً نسيباً وحيناً رثاء ، وغير ذلك من الأنواع المتخالفة ، فعمد هذا المتصدى الى ذلك المجموع فناسب بين فقرة ومقاطعة ، ثم تكلف تكلفاً آخر فناسب بين الخطبة التى خطبها فى الجهاد والخطبة التى خطبها فى الحج والخطبة التى خطبها فى النكاح ونحو ذلك ، وناسب بين الإنشاء الكائن فى العزاء والإنشاء الكائن فى الهناء ومايشابه ذلك ، لعد هذا المتصدى لمثل هذا مصابا فى عقله متلاعبا بأوقاته عابثا بعمره الذى هو رأس ماله ، وإذا كان مثل هذا بهذه المنزلة ، وهو ركوب الأحموقه فى كلام البشر ، فكيف تراه يكون فى كلام الله سبحانه الذى أعجزت بلاغته بلغاء العرب ، وأبكمت فصاحته فصحاء عدنان وقحطان . وقد علم كل مقصر وكامل أن الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنه عربى ، وأنزله بلغة العرب ، وسلك فيه مسالكهم فى الكلام ، وجرى به مجاريهم فى الخطاب .

---

(١) سورة العلق آية (١) .

(٢) سورة المدثر آية (١) .

(٣) سورة المزمل آية (١) .

وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد فيأتى بفنون متخالفة، وطرائق متباينة فضلاً عن المقامين ، فضلا عن المقامات ، فضلا عن جميع ماقاله مادام حيا ، وكذلك شاعرهم ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التى تعثر فى ساحتها كثير من المحققين . اهـ[١].

◊ مناقشة آراء المانعين والرد عليها : [*]

أولاً : الرد على الإمام العز :

ينفى الامام العز وقوع المناسبة بين طائفة من الآيات أو بين آيات السورة الواحدة إلا إذا كانت نازلة فى أمر واحد.

إذا فإنه لاينفى وقوع المناسبة مطلقاً . وقد ذكر – رحمة الله – مناسبة تسمية سورة الرحمن بهذا الاسم لموضوعات السورة فقال: فإن قيل كيف يكون قوله: (سنفرغ لكم أيها الثقلان)[٢] نعمة وقوله : (يعرف المجرمون بسيماهم)[٣] نعمة وكذلك قوله : (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون)[٤] وقوله : (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس)[٥] وقوله : (يطوفون بينها وبين حميم آن)[٦] قلنا هذه كلها نعم جسام لأن الله هدد العباد بها استصلاحا لهم ليخرجوا من حيز الكفر والطغيان و الفسوق والعصيان إلى حيز الطاعة والإيمان والانقياد والإذعان ، فإن من حذر من طرق الردى وبين مافيها من الأذى وحث على طرق السلامة الموصلة الى المثوبة والكرامة كان منعما عليه غاية الإنعام ومحسنا غاية الإحسان .

---

(١) فتح القدير طبعة مصطفى الحلبى حـ١ ص٧٢ – ٧٣ .

(*) بناء على أن أقل الجمع اثنان عند من يقول بذلك . فقد ذكر بعضهم ان الجمع : هو الاسم الذى يدل على اثنين فأكثر من اثنين انظر المعجم المفصل فى النحو العربى د / عزيزة فوال طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١ / ٤١٦ .

(٢) سورة الرحمن آية ٣١ .

(٣) سورة الرحمن آية ٤١ .

(٤) سورة الرحمن آية ٤٣ .

(٥) سورة الرحمن آية ٣٥ .

(٦) سورة الرحمن آية ٤٤ .

ومثل ذلك قوله : (هذا ماوعد الرحمن)(*) وعلى هذا تصلح فيه مناسبة الربط بذكر صفة الرحمة فى هذا المقام . اهـ(١) .

وبالنظر لما قاله الشيخ العز بن عبد السلام نجد أنه ربط بين هذه الآيات وإن اختلفت مضامينها فقد ذكر كيف تكون نعمة من النعم وهى متضمنة لما خالف ذلك من الحديث عن النار وشواظها وغير ذلك مما يدل على البلاء ولا على النعمة . وهذا يثبت المناسبة بين هذه الآيات وهو من دعاة إنكار ذلك .

وقال الشيخ ولى الدين محمد أحمد الملوى (المتوفى ٧٧٤هـ) : قد وهم من قال : لايطلب للآى الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة ، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً ، فالمصحف على وفق ما فى اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة الى بيت العزة (٢) ، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر ، والذى ينبغى فى كل آية أن يبحث أول كل شئ عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففى ذلك علم جم ، وهكذا فى السور يطلب وجه اتصالها بماقبلها وماسيقت له ١ هـ(٣) .

وهذا مبنى على أن ترتيب السور توقيفى ، وهذا هو الراجح كما ذهب اليه كثير من العلماء .(٤)

ومن هذا الكلام يتبين أن ترتيب الآيات فى سورها مع اختلاف أسباب نزولها وأزمنته سر من أسرار الاعجاز للنظم القرآنى، فهذا ترتيب من أحاط بكل شئ علما ، وفيه التناسق والانسجام وإن خفيت عليهم الحكمة فى بعض الأحيان

(*) سورة يس آية ٥٢ .

(١) الإشارة الى الإيجاز صـ٢١٩.

(٢) نزول القرآن جملة الى بيت العزة ، قول الجمهور ، لكن ضعفه الاستاذ الدكتور ابراهيم خليفة ، وبين أن لم ينزل جملة الى بيت العزة ، وإنما كان ابتداء نزوله فى ليلة القدر ثم نزل منجما بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم .راجع منه المنان ٢ / ٣٣ ومابعدها .

(٣) الاتقان فى علوم القرآن ١٣٨/٢ .

(٤) البرهان ١ / ٢٥٨ ومابعدها ، الاتقان ١ / ٨٠ .

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز : إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغا ثامن المعانى حشيت حشواً ، وأوزاعا من المبانى جمعت عفوا ، فإذا هى لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول ، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول ، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول : فلاتزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية فى بنيان واحد وقد وضح رسمه مره واحدة : لاتحس بشئ من تناكر الأوضاع فى التقسيم والتنسيق ، ولابشئ من الانفصال فى الخروج من طريق الى طريق ، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة ، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والإلتحام . كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر من خارج المعانى انفسها وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد فى مطلع كل غرض ومقطعه واثنائه ، يريك المنفصل متصلاً والمختلف مؤتلفا ١٠هـ(١) .

ولو أن المنكرين للمناسبات دققوا النظر فى ربط الآيات والسور مستعينين بالله واثقين ان القرآن فى الذروة من الترابط والإحكام لبزغ لهم أنوار أسراره أما وإنه قد خفى عليهم وجه الحكمة فى هذا الترتيب ما كان ينبغى لهم أن يتعجلوا القول ولكن يقولوا : (سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا)(٢) .

وقولهم : ومن ربط ذلك فهو متكلف لما لم يقدر عليه الا برباط ركيك ... الخ فهذا من وجهة نظرهم ، وما خفى عليهم قد فطن له غيرهم ورب مفضول يفطن الى مالا يفطن له الفاضل ، ورب صغير يفطن الى مالا يفطن له الكبير ، قال تعالى : (فهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما)(٣) .

وتمثيل تصرف الإله سبحانه بتصرفات الملوك مع اختلاف الأسباب والعلل غير صحيح ، لأنه تمثيل مع الفارق ، لعدم علمهم وقصور إدراكهم بما يجد من أمور ، أما القرآن الكريم فإنه تنزيل من أحاط بكل شئ علما .

---

(١) النبأ العظيم صـ١٥٥ .

(٢) سورة البقرة آية ٣٢ .

(٣) سورة الأنبياء آية ٧٩ .

ومن المعلوم أن ترتيب الآيات والسور فى نزولها يغاير ترتيبها فى المصحف ، ولو أننا نظرنا الى القرآن عند نزوله لرأينا منه مايكون لسبب معين أو حادثة وقعت منفصلة عن الأخرى فى الوقت والمكان . ولكن لو نظرنا إليها وقد أعد لها عند نزولها مكانها الذى تأوى اليه لعلمنا أن هناك تحديداً لمواقع هذه النجوم قبل أن تنزل، وقبل أن تحدث أسبابها، وما من نجم نزل إلا وضع فى مكانه لايجاوزه الى غيره .

"وهل رأيت أو سمعت أحدا من الكتاب أو الشعراء استطاع فى حياته الأدبية أن يحصى كل ماسيجئ على لسانه من جيد الشعراء أو النثر فى المناسبات المتنوعة إلى آخر عهده بالدنيا ، وأن يضع من أول يوم منهاجا لديوانه المنتظر ، يفصله تفصيلاً لايقنع فيه بتقدير أبوابه وفصوله حتى يقدر لكل باب عدة مايحويه من خطاب أو قصيد، ويحدد لكل واحد من هذين مكانا معلوما لايستقدم عنه ولايستأخر ، حتى إذا جاء عنه داعيته رده الى مكانه غير متلبث ولامتوقف ، ثم ينجح فى هذه التجربة نجاحاً مطردا تنفذ فيه أحكامه وتتحقق به أحلامه ، فيستقيم له النسق بين هذه المقطوعات كلها ، من غير أن يقدم فيها شيئا او يؤخر شيئا ، ومن غير أن يزيد بينها أو ينقص شيئا ؟ " (١) .

وجمع القرآن بين الأضداد يجاور بينها كالحديث مع المسلمين، وتارة مع الكافرين وتارة مع من مضى وتارة مع من حضر .. فيخرج بذلك محاسنها عند ذكر المسلمين ومساوئها عند ذكر الكافرين ، وبضدها تتميز الأشياء ، (ويعمد تارة أخرى الى الأمور المختلفة فى نفسها من غير تضاد فيجعلها تتعاون فى أحكامها يسوق بعضها إلى بعض مساق التنظير أو التفريع ، أو الاستشهاد أو الاستنباط أو التكميل ..... إلى غير ذلك .

وربما جعل اقتران المعنيين فى الوقوع التاريخى ، أو تجاور شيئين فى الوضع المكانى دعامة لاقترانهما فى النظم فيحسبه غير المتأمل فى أسباب النزول وطبيعة المكان خروجاً وما هو بخروج ، وإنما هو إجابة لحاجات النفوس التى تتداعى فيها تلك المعانى فإن لم

---

(١) النبأ العظيم صـ١٥٢ .

يكن بين المعنيين نسب ولا صهر بوجه من هذه الوجوه ونحوها رأيته يتلطف فى الانتقال من أحدهما إلى الآخر إما بحسن التخلص والتمهيد وإما بإمالة الصيغ التركيبية على وضع يتلاقى فيه المتباعدان ويتصافح به المتناكران على أن روعة النظم القرآنى لاتقوم دائما على حسن التجاور بين الآحاد ، بل ربما تراه قد أتم طائفة من المعانى ثم عاد إلى طائفة أخرى تقابلها فيكون حسن الموقع فى التجاور بين الطائفتين موجباً لحسن المقابلة بين الأوائل فى كل منهما أو بين الأواخر كذلك .. (١)

ثانياً : الرد على الشوكانى :

وقول العلامة الشوكانى : وما أقل نفع مثل هذا وأنزر ثمرته وأصغر فائدته ... الخ فإنه يرد على نفسه من واقع تفسيره حيث إنه اهتم بهذا العلم فذكر بعض المناسبات بين السور القرآنية وأكثر من ذكرها بين الآيات بعضها لبعض فلو كانت قليلة النفع أو عديمة الثمرة أو حقيرة الفائدة كما ادعى فلماذا أتى بها فى تفسيره.

<u>واليك بعض الامثلة على ذلك .</u>

<u>اولاً : المناسبة بين السور منها :</u>

١- المناسبة بين سورة الحج والانبياء .

قال : لما انجر الكلام فى خاتمة السورة المتقدمة - الأنبياء - الى ذكر الإعادة وما قبلها وما بعدها بدأ سبحانه فى هذه السورة بذكر القيامة وأهوالها حثا على التقوى التى هى أنفع زاد . اهـ (٢)

٢- مناسبة سورة قريش لسورة الفيل .

قال : اللام فى قوله : (لايلاف) قيل هى متعلقة بأخر السورة التى قبلها كأنه قال سبحانه : أهلكت أصحاب الفيل لأجل تآلف قريش . ١ هـ (٣)

---

(١) النبا العظيم صـ١٦١ - ١٦٢ بتصرف

(٢) فتح القديرة ٣/٤٣٥

(٣) المرجع السابق ٥/٤٩٧

ثانياً : المناسبة بين الآيات بعضها لبعض ذكر كثيراً منه :

بالنظر الى الشوكانى فى تفسيره نجد أنه اعتنى كثيراً بذكر المناسبات بين الآيات بعضها لبعض وتلك أمثلة لذلك .

١- ذكر عند تفسير قوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم ..) [١] .

قال : لما فرغ سبحانه من ذكر المؤمنين والكافرين والمنافقين أقبل عليهم بالخطاب **التفاتا** للنكتة السالفة فى الفاتحة .١ هـ [٢] أى أن الكلام **إذا نقل من** أسلوب إلى أخر كان أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر ايقاظاً له .

٢- وعند تفسيره قوله تعالى (وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) [٣] .

قال : لما ذكر الله تعالى جزاء الكافرين عقبة بجزاء المؤمنين ليجمع بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد كما هى عادته سبحانه فى كتابه العزيز لما فى ذلك من تنشيط عباده المؤمنين لطاعاته وتثبيط **الكافرين** عن معاصيه . ١هـ [٤] .

٣- وقال فى مناسبة قوله تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا) [٥] **لما ذكر** سبحانه طائفتى المسلمين بقوله : (فمن الناس من يقول) [٥] **عقب** ذلك بذكر طائفة المنافقين وهم الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر . ١هـ [٦]

---

(١) سورة البقرة اية ٢٢
(٢) فتح القدير ٥٠/١
(٣) سورة البقرة اية ٢٥
(٤) فتح القدير ٥٤/١
(٥) سورة البقرة اية ٢٠٤
(*) سورة البقرة آيه ٢٠٠ .
(٦) فتح القدير ٢٠٧/١

٤- وفى قوله تعالى (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح) [١] يقول هذا شروع فى بيان ما أحله الله لهم بعد بيان ما حرمه عليهم . ١هـ [٢] .

٥- وعند قوله تعالى (إن الله فالق الحب والنوى)[٣] يقول : هذا شروع فى تعداد عجائب صنعه تعالى وذكر مايعجز آلهتهم عن أدنى شئ منه. ١هـ [٤]

٦-وعند قوله تعالى (لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقوم ..)[٥]

قال : لما بين سبحانه كمال قدرته وبديع صنعته فى الآيات السابقة ذكر هنا أقاصيص الأمم وما فيها من تحذير الكفار ووعيدهم ، لتنبيه هذه الأمة على الصواب ، وأن لايقتدوا بمن خالف الحق من الأمم السالفة . ١هـ [٦]

٧- عند قوله تعالى (هو الذى يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال)[٧] قال لما خوف سبحانه عباده بإنزال مالا مرد له اتبعه بأمور ترجى من بعض الوجوه ويخاف من بعضها وهى البرق والسحاب والرعد والصاعقة . ١هـ [٨]

٨- عند قوله تعالى (وقالوا أء اذا كنا عظاماً ورفاتاً اءنا لبمعثون خلقاً جديداً) [٩] قال لما فرغ سبحانه من حكاية شبه القوم فى النبوات حكى شبهتهم فى أمر المعاد . ١هـ [١٠]

---

(١) سورة المائدة اية ٤
(٢) فتح القدير ١٢/٢
(٣) سورة الانعام اية ٩٥
(٤) فتح القدير ١٤٢/٢
(٥) سورة الاعراف اية ٥٩
(٦) فتح القدير ٢١٦/٢
(٧) سورة الرعد اية ١٢
(٨) فتح القدير ٧٢/٣
(٩) سورة الاسراء اية ٤٩
(١٠) فتح القدير ٢٣٤/٣

٩- عند قوله تعالى (يا أيها الذين أمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ..) [١]

قال : لما فرغ سبحانه من ذكر الزجر عن الزنا والقذف شرع فى ذكر الزجر عن دخول البيوت بغير استئذان لما في ذلك من مخالطة الرجال بالنساء فربما يؤدى إلى أحد الأمرين المذكورين . اهـ [٢] .

١٠- عند قوله تعالى (وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن)[٣]

قال : لما بين سبحانه أن فى الإنس من آمن ، وفيهم من كفر بين أيضاً أن فى الجن كذلك. اهـ[٤]

وبهذا اصبح واضحاً أن إنكار كل من الشيخ العز بن عبد السلام والعلامة الشوكانى للمناسبات فيما رأي ليس حسناً ولا واقعاً ، وإن الأخذ به نابع من الغفلة الشديدة عن بلاغة النظم القرآنى .

ومن المعلوم أن القرآن قد تحدى العرب بأن يأتوا بسورة من مثله او عشر سور مثله ، أو بحديث مثله ، فلو وجدوا فى نظم القرآن ولو من بعيد مطعماً لطامع لسارعوا إلى ذلك .

والله اعلم

---

(١) سورة النور اية ٢٧

(٢) فتح القدير ١٩/٤

(٣) سورة الاحقاف اية ٢٩

(٤) فتح القدير ٢٥/٥

الخاتمة

وتتضمن خلاصة البحث وأهم النتائج

- بعد قراءة هذا البحث المتضمن المبادئ العشرة لهذ الفن (تعريفه ، موضوعه وثمرته ، وفضله ، ونسبته ، وواضعه ، وأطوار تاريخه) ذكرت أن جذور هذا العلم تمتد إلى عصر الصحابة ، أما بداية ظهوره كعلم كان على يد أبى بكر النيسابورى .
- وبينت آراء العلماء فى هذا العلم من حيث الثبوت وعدمه وأبرزت رأى المثبتين له واهتمامهم به ، ثم نقلت رأى النافيين له ومن هؤلاء الإمام العز بن عبد السلام والعلامة محمد بن على الشوكانى وناقشت رأيهما ورددت عليها ورجحت رأى من أثبت هذا العلم مدعماً ما ذكرت بالأدلة العلمية .

وبعد الانتهاء من هذا البحث توصلت الى بعض النتائج منها :

١) إن علم المناسبات له ثمرات عظيمة وفوائد جمة يقف عليها من دقق النظر فى ربط السور بعضها ببعض وكذا ربط الآيات بعضها ببعض مستعيناً بالله واثقاً ان القرآن فى الذروة من الترابط والإحكام .

٢) تمتد جذور هذا العلم الى عصر الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، أما بداية ظهوره كعلم كان فى بداية القرن الثالث الهجرى على يد الإمام أبى بكر النيسابورى .

٣) اهتمام كثير من العلماء والمفسرين بهذا العلم لعظمه وغزارة فوائده .

٤) ضعف رأى المنكرين لهذا العلم فى نظرى .

والله اعلم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

فهـــرس المراجـــع

١) القرآن الكريم .

٢) الاتقان فى علوم القرآن : للامام جلال الدين السيوطى المتـوفى ٩١١هـ طبعة مصطفى الحلبى . الطبعه الرابعة

٣) ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم : للعلامة أبى السعود العمادى طبعة دار احياء التراث العربى – بيروت

٤) الاشارة الى الايجاز فى بعض انواع المجاز : للامام أبى محمـد عز الدين عبد العزيز بن عبـد السـلام المتوفى ٦٦٠هـ طبعـة دار الحـديث بالقاهرة

٥) الاعجـــاز البيانـــى : للاستاذ الـدكتور محمـد احمـد يوسف القاسم . دار المطبوعات الدوليـة . الطبعة الاولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٦) البحر المحيط فى التفسير : لأبى حيان الأندلسى المتوفى ٧٥٤هـ طبعه دار الفكر

٧) البرهان فى علوم القرآن : للإمام بدر الدين الزركشـى المتـوفى ٧٩٤هـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم – نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة .

٨) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن : تأليف كمـال الـدين عبـد الواحد الزملكانى المتـوفى ٦٥١ هـ طبعـه العـانى ببغـداد تحقيـق د / خديجه الحدينى ود / احمد مطلوب .

٩) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيـز : لمجـد الـدين الفيروز اباوى تحقيق محمد على النجار ، طبعه نهضه مصر ، نشـر المجلـس الأعلى للشئون الاسلامية .

١٠) تاج العروس : للعلامه الزبيدى طبعه دار مكتبة الحياة . بيروت

١١) تبصير الرحمن وتيسير المنان لبعض ما اشير الى اعجاز القرآن : للعلامه المهايمى طبعة بولاق .

١٢) تناسق الدور فى تناسب السور المسمى أسرار ترتيب القـرآن : تحقيق الاستاذ عبد القادر عطا طبعة دار الاعتصام بالقاهرة .

١٣) تفسير المنـار : للاستاذ محمد رشـيد رضـا طبعـه الهيئـة المصرية العامه للكتاب بالقاهرة .

١٤) الثقـــات : لابن حبان طبعة حيدر اباد الدكن .الطبعة الاولى

١٥) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم طبعة دار الفكر

١٦) جواهـــر البيان فى تناسب سور القرآن : لأبى الفضل عبد الله محمد الصديق الغمارى طبعة مكتبة القاهرة .

١٧) حاشية الصبان : للشيخ محمد بن على الصـبان علـى شـرح الملوى على السلم المطبعة الأزهرية ١٣١٩هـ

١٨) الحلية : لأبى نعيم طبعة دار الفكر بيروت

١٩) حولية كلية أصول الدين بالقاهرة : العدد التاسع

٢٠) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى : للعلامة الألوسى البغدادى ت ١٢٧٠ هـ طبعة دار الفكر

٢١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان على هامش تفسير الطبـرى . للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد النيسابورى المتوفى ٧٢٨هـ طبعة دار الفكر بيروت .

٢٢) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسـير : لمحمد بن على الشوكانى المتوفى ١٢٥٠هـ . طبعـة مصـطفى الحلبـى – الطبعـة الثانيـة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .

٢٣) فضائل القرآن : لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروى .

- **رسالة ماجستير مخطوطه بكلية اصول الدين بالقاهرة .** للباحث عبد الحميد العياط تحت رقم ١٣٦٢ .
- **فضائل القرآن** لابى عبيد القاسم بن سلام الهروى تحقيق وهبى سليمان عاوجى طبعة دار الكتب العلمية بيروت .

٢٤) القاموس المحيط : لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى المتوفى ٨١٧هـ طبعة مصطفى الحلبى . الطبعة الثانية ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م

٢٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل : لأبى القاسم جار الله الزمخشرى المتوفى ٥٣٨ هـ وبهامشه حاشية السيد الشريف على الجرجانى ، وكتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال الطبعة الاخيرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م .

٢٦) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : للعلامة محمد على التهانوى تحقيق د/ على دحروج وآخرين طبعة مكتبة لبنان

٢٧) كشف الظنون : لحاجى خليفة طبعة الهند ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣م

٢٨) لسان العرب : لجمال الدين محمد بن منظور . طبعة دار المعارف بمصر

٢٩) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز : لابن عطية الاندلسى المتوفى ٥٤٦هـ توزيع مكتبة ابن تيمية بالقاهرة

٣٠) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور : للامام البقاعى المتوفى ٨٨٥هـ تحقيق د/ عبد السميع محمد احمد حسنين . طبعة مكتبة العارف بالرياض .

٣١) المصباح المنير : للفيومى طبعة مكتبة لبنان .

٣٢) مصنف عبد الرزاق : للامام عبد الرزاق بن همام الصنعانى طبعة بيروت

٣٣) المعجم المفصل فى النحو العربى : د/ عزيزه فوال طبعة دار الكتب العلمية بيروت

٣٤) معجم مقاييس اللغة : لابن فارس تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون . طبعة مصطفى الحلبى - الطبعة الثالثة

٣٥) مفردات القرآن : للراغب الأصفهانى . طبعة دار الفكر بيروت

٣٦) منة المنان فى علوم القرآن : للاستاذ الدكتور ابراهيم عبد الرحمن خليفة طبعة الفجر الجديد بالقاهرة .

٣٧) المواقف فى علم الكلام لعضد الله والدين : القاضى عبد الرحمن بن احمد الأيجى طبعة عالم الكتب بيروت .

٣٨) النبأ العظيم : للدكتور محمد عبد الله دراز طبعة دار القلم

٣٩) نظرة العجلان فى أغراض القرآن : لمحمد بن كمال احمد الخطيب المطبعة العصرية بدمشق .

٤٠) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور : للامام البقاعى نشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

فهـرس الموضـوعـات

الموضـــــوع	الصفحـــه
التقديم	١
مبـــادئ الفـــن	٢
١) الحد	٢
٢) الموضوع	٤
٣) ثمرته	٤
٤) فضله	٥
٥) نسبته	٥
٦) واضعه وأطوار تاريخه	٦
٧) تسميته	١٩
٨) استمداده	٢٠
٩) حكم الشارع	٢٠
١٠) مسائله	٢٠
أراء العلماء فى علم المناسبات من حيث الثبوت وعدمه	٢٠
• الرأى الاول	٢٠
• الرأى الثانى	٢١
مناقشة آراء المانعين والرد عليها .	٢٤
الخاتمة	٣١
فهرس المراجع	٢٣
فهرس الموضوعات	٣٥